الأحد ٦/٩/١٩٩٨ - العدد ٩٠٥٧

ومن الحضارة ما قتل (٢)

الارهاب والارهاب المضاد

بقلم: حمد محمد المرعي

الغرب خلق بجينات عنف تتملك حواس السلم والتعاطف عنده.. والغرب دينه العنصرية من قمة رأسه الى أخمص قدميه. هكذا علمتنا مدرسة التاريخ. والعنف لا يراقص الا الارهاب، وهكذا فالارهاب بدأ من نزله، ولا يزال ينخر في قعر داره. فالمحارق البشرية والمقاصل واجتثاث رؤوس الاحياء بالفؤوس لم تبدأ الا في الغرب، والاسلحة الميكانيكية التقليدية او غير التقليدية مثل: الذرية والنووية والكيماوية والبيولوجية لم تبدأ الا في الغرب. والمتفجرات واجهزة تفجيرها وتوقيتها لم تبدأ الا في الغرب. والحروب الكونية والاقليمية والمحلية لا تزال بصمات الغرب واضحة عليها.

ومدن الغرب هي الوحيدة التي فيها مناطق محظور الاقتراب منها. وبيوت الغرب تجدها محصنة وكأنها قلاع، وشوارع وطرق الغرب يزدهر العنف فيها ويترعرع الارهاب. وليس لنا الا ان نتذكر حركات «الكوكلكس كلان» و«الدافيديان» ومجموعات «مونتانا» ومدينة اوكلاهوما سيتي والملعب الاولمبي في اتلانتا وعيادات الاجهاض ومبنى الكونغرس والسجون الممتلئة بسكناها والمحاكم المكتظة بقضاياها. وعام ١٩٧٣ ليس بالبعيد عندما بدأت اشارات واشارات فقط بايقاف ٥٪ من النفط العربي عن الولايات المتحدة، عندها بدأت السكاكين تلمع في ايادي طوابير رواد محطات الوقود متربصين بكل من يتخطى الدور. اما تجارة اجهزة الامن والحماية ومكاتب الحرس الخاص فلقد اصبحت من المؤسسات العملاقة.

بل ولا يحدث الا في الغرب بان يشيع اغتصاب: يغتصب الاب ابنته او الاخ اخته او يقتل الابناء والديهم او يعذب الوالدان اطفالهما حتى الموت. اما التصدع العائلي او التفكك الاسري او الترويج للدعارة والاباحية بطرقها واساليبها المتنوعة فحدث ولا حرج. واما حمل الاطفال للاسلحة وقتل زملائهم ومدرسيهم في وسط مدارسهم فهذا لا يحدث الا في الغرب. واما الرعاية الرسمية لعصابات المافيا المنظمة فهو أمر لا يخفى على الكثير. ولو واصلنا الحديث في هذا الشأن لاحتجنا لعدة مجلدات، مما يشيب الشعر من هولها.

من هكذا رحم نشأ الارهاب المنظم والارهاب الدولي منذ أزمنة. فالغرب نشأ على اغتصاب أراضي الغير واستعباد الشعوب واستملاك ثرواتها وسن الرقيق بأنواعه والمتاجرة به لمئات السنين. أوليس الغرب من قسّم التاريخ الى مراحل وفقا لعنفها؟ فهناك الحرب الباردة وتلك المجمدة وهناك الحرب الساخنة وتلك التي تصلي؟ ولهذا ايضا ابتدعوا ما يسمى بالحصار الاقتصادي والتفاوض الدبلوماسي والاحتواء المزدوج ومبادئ الاستيطان (وليس التعايش) ومناطق النفوذ والمحافظة على المصالح وظواهر التطبيع بأنواعه وكيفما يرونه. انها ظاهرة التسلط والطغيان المتأصلة لديهم. ومن كنف هذا تطفلت الصهيونية وترعرت واصبحت هي السيدة بدلا من التابعة. وهل نسي الغرب اسقاط الطائرة الليبية فوق سيناء، او الايرانية فوق مياه الخليج، او تحويل مسار الكورية الى الاراضية السوفيتية ليسقطها السوفيت، او قصف المدن الليبية بحثا عن القذافي ليموت مئات الابرياء، او القصف المستمر للبنان، او ما يحدث في الاراضي الفلسطينية المحتلة.. الخ. هذا من ذاكرة لحظية فقط فما بالك لو أعدنا بحثا تاريخيا؟ وهل نستغرب عدم تجديد رئاسة كارتر لأن مهمته انتهت بتوقيع معاهدة السلام المصرية - الاسرائيلية، وعدم تجديد رئاسة بوش لانه حجز قرضا لاسرائيل اذ كان بعضه سيصرف لانشاء المستوطنات، او حبك قضية لوينسكي مع كلينتون لانه حاول الوقوف مع نسبة الـ ١٣٪ من الاراضي في المحادثات الفلسطينية - الاسرائيلية.. والكلام يطول.

والحضارة الغربية بمفاهيمها المقلوبة وقيمها المشتتة، عندما استملكت التكنولوجيا اصبحت كالطفل الفرح بلعبته الجديدة، يلعب بها ما شاء ما لم يجد من يوجهه ويفهمه بالأصول. فها هي تضرب بصواريخها من أعماق البحار وأعالي السماء وأقاصي الارض ذات اليمين وذات الشمال من غير وازع ولا رادع. وهي بهذا تدمر الاخضر واليابس، البريء والمشبوه. وهي التي غذت الحركات الارهابية والاصولية ومولتها ودربتها لتستخدمها في انجاز مهماتها حتى انقلب السحر على الساحر. (ابحث عن مسألة صواريخ ستنغر في افغانستان والعلاقات الاميركية السابقة مع بن لادن) فالخالق يمهل ولا يهمل وخلقه ينظر ويصبر ولكن لا ينسى ولا يجزع. وليس هناك من يرغب في الارهاب او الارهاب المضاد.. ولكن لنا ان نفرق وندقق في المفردات والتسميات التي بدأت في الشيوع في العقدين الاخيرين. فالارهابي عند البعض هو مجاهد عند البعض الآخر - لا فرق ان كان هذا البعض اميركيا او افغانيا، سودانيا او صهيونيا. وضحايا كلا الارهابيين هم الابرياء والعزل والضعفاء. ولكنه البشر الضعيف عندما ينفد صبره من الاضطهاد والظلم او البشر القوي عندما يطغى ويتسلط. ولانقاذ البشرية من هذا التدمير والبؤس المستديم فانه يجب على الغرب ان يطلّق بالثلاثة عنصريته وطغيانه وتسلطه وان يفهم ان القرن الحادي والعشرين حسب روزنامته له تقييم آخر: ألا وهو تحقيق العدالة ومحاربة الفقر والمرض من بين أمور كثيرة. اما محاربة الارهاب بالارهاب فهو اصرار على معادلة حضارته المعكوسة والتي كانت مصدر بؤس للبشرية والانسانية جمعاء. فالخطأ لا يمكن ان يصحح الخطأ.. بل يضاعفه. وهذا ما يقوله لنا منطق العقل والحكمة.